الأحلام في كتاب الفرج بعد الشدة - قراءة في السياق الثقافي نصوص المنامات – الفرج بعد الشدة أنموذجا

د. سمر كمال السقا

المقدمة:

الحمد لله، الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد الأنام، خير من علم القرآن، وأرشد الناس إلى الإيمان، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

المتأمل في النصوص الأدبية في العصرالجاهلي، يرى أن العرب قد حرصوا على تصوير حياتهم من وجهة نظرهم الخاصة التي تتناسب مع متطلاباتهم، فحصلوا من المعارف ما يعينهم لطرق سبل عيشهم وأساليب حياتهم، وكان ذلك عن طريق التجربة، فكان لهم بعلم الطب، والبيطرة وفي جنوب الجزيرة علم الهندسة والبناء وعمارة المدن والزراعة والصناعة، وكان لهم ما يعينهم في بواديهم فاشتهروا بعلم الأنساب والأخباروعلم النجوم و سنوا للحلم علما فكان علم التعبير.

من اعتق الأحلام التي دونها التاريخ ما ذكر في ملحمة جلجامش:

(يا امي لقد رأيت الليلة الماضية حلماً
رأيت اني اسير مختالاً بين الابطال
فظهرت كواكب السماء
وقد سقط احداها الي وكأنه شهاب السماء (آنو)
أردت ان ارفعه، ولكنه ثقل علي
واردت ان ازحزحه فلم استطع ان احركه
تجمع حوله اهل بلاد اوروك
ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه
واجتمع عليه الابطال ...
ورفعته ووضعته عند قدميك
فجعلته تحت قدميك) ١

طبيعة الأنسان يحاول من بداية الأيام خرق الزمان والنظر إلى الغد، فكانت فكرة رسائل الرب التي ترتسم في لحظات اللاشعور التي ترتسم في جوف النوم..

أشهر الأحلام التي تاخمت الأسلام حلم زوج الرسول صلى الله عليه وسلم صفية عندما سألها رسول الله عن أثر خضرة قريبة من عينها فقال: ما هذا قالت يارسول الله رأيت في المنام قمرا أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة فضرب وجهي٢ ومن أشهر الأحلام حلم فرعون قال تعالى في كتابه:" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"٣ وحلم يوسف عليه السلام "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ "٤

الأحلام حالة يعبر بهاالأنسان من العالم المعلوم العاجز إلى الحيوات التي تضيء طريقه للانتقال "من الهنا إلى

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الهناك، من الأليف إلى المجهول، من المحدود الضيق الخانق إلى المطلق "٥

انتخبت لهذه الدراسة كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي (ابو علي التنوخي- ت٣٨٤م)المعروف بالقاضي التنوخي وهذا الكتاب تقوم مادته الأساسية على الأخباروالنوادر التي تساق في أسلوب قصصي اخترت الباب السادس المعنون (من فارق شدة إلى رخاء، بعد بشرى منام لم يشب صدق تأويله بكذب الأحلام) التبشير بالفرج بعد منام وليس من ما يدخل في علاقة السبب بالمسبب.

أدى ظهور الكثير من النظريات النقدية في القرن الماضي، والكثير من الدراسات الأدبية والعلمية على حد سواء، إلى إعادة النظر في الإرث النثري الإبداعي، وما تلك القفزة النوعية التي قفزها العالم في النظريات النقدية إلا معين قوي لكشف الستار عن الموروث الثقافي الذي لا يزال في معظمه غفلا بعيدا عن أيدي الدارسين، ولذا آثرت أن أسهم قدر المستطاع في تسليط الضوء على جانب من جوانبه الذي لم يأخذ نصيبه من البحث بالتعمق والتحليل اللذي نالته دراسة الشعر العربي.

المنهج المتبع في هذا الدراسة وصف ظاهره الأحلام ومقاربتها بالتحليل والاستنباط في ضوء علاقتها بالسياقات الثقافية.

التمهيد:

المحور الأول:

دراسة التنوخي:

القاضي أبو علي، المحسن بن علي التنوخي، ووالده القاضي أبو القاسم على بن محمد،وولده القاضي أبو القاسم على بن المحسن، أسماء لامعة، في عالم الأدب، والشعر، والقضاء، ولدسنة سبع وعشرين وثلثمائة ٣٢٧ هـ بالبصرة، وتوفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة ٣٨٤ هـ ببغداد، ترعرع التنوخي في كنف القرن الرابع الهجري مثل هذا القرن وجهي العملة المتضادين عصر التقدم العلمي والنشاط التأليفي، عصر الانفتاح على الحضارات الأجنبية وتميز الحضارة العربية، عصر الترف الزائد والفقر القاتل القرن الرابع الهجري ظهرت الثمار العظيمة التي غرسها عصر الرشيد، وعصر المأمون من بعده.

مجالات الحضارة بكل ما تنطوي عليه من توسع في العمران، واعتناء بالفنون والآداب، وتشجيع للعلماء، وتيسير للحصول على المعرفة من منابعها المتقدمة.

توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ، أي قبل ميلاد القاضي التنوخي بقرن كامل يزيد بضع سنوات، وفي أبان تلك الفترة كانت الخمائر قد عملت عملها، وتفتحت البراعم العظيمة التي شهد عصر المأمون نفسه بشائرها، وفاض نورها في عصر المعتصم، واستمر اشعاعها في عصور خلفائه لتبلغ الذروة في السطوع والأبهار أثناء مراحل توصف من الناحية السياسية بأنها عصر ضعف الخلفاء، واضطراب الأمن، وانتشار الفساد الإداري. ٦

كتاب الفرج بعد الشدة يقدم صورة العصر السياسية، وهي لا تزيد على أن تكون سلسلة من الحروب الداخلية وحوادث النهب والتصفية والمصادرة، وخراب المدن وكبس السجون وقطع الطريق على القوافل، تلك التي تحمل رسائل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، لقد خلع الخليفة القاهر سنة ٣٢٢ هـ ، وأخذ الخليفة الراضي مكانه، وقد ولد القاضي التنوخي بعد خمس سنوات مضت من خلافة الراضي، وهذا يعني أنه عاصر خلافة الراضي، والمقتي، والمستكفى، والمطيع، والطائع الي خلع سنة ٣٨١هـ، وأعقبه القادر، الذي ظل خليفة لأكثر من واحد وأربعين عاماً، وقدتوفي التنوخي بعد ثلاث سنوات في خلافته.

لم ينل الحاكم في تلك الحقبة الزمنية غيرالاسم، وهم بين مقتول ومعزول ومن لا يدري من امره شيئاً، فضلاً عن أمر المسلمين.

كان منصب الوزراء جزء من هذه الفوضى وصدى لها، و من يتغلب على خصمه، أو يستولي على إقليم، أو يجزل الرشوة للخليفة. يرصد هذا القرن كما من الحوادث المستجدة عاماً بعد عام، لنرى صورة قلقة، للحياة السياسية والإدارية، وللنظام المالي في ذلك العصر الذي يزهو بالعلماء والأدباء. سنكتفي بمجرد إشارة إلى أسباب مبايعة المقتدر بالخلافة بعد وفاة المكتفى. لقد فكر الوزير – وهو العباس بن الحسين – فيمن يصلح للخلافة، فطلب مشورة أصحابه، وكان عبدالله بن المعتز أكثر المرشحين شهرة، ولكن مستشار الوزير رفضه، وقال معللاً "فليتق الله الوزير، ولا ينصب الأمن قد عرفه، وأطلع على جميع أحواله، ولا ينصب بخيلاً فيضيق على الناس ويقطع أرزاقهم، ولا طماعاً فيشره في أموالهم، فيصادرهم، ويأخذ أموالهم وأملاكهم، ولا قليل الدين فلا يخاف العقوبة والآثام، ويرجو الثواب فيما يفعله، ولا يول من

عرف نعمة هذا، وبستان هذا" ٧

جمع القاضي مادة كتابه الفرج بعد الشدة في أواخر أيامه أثر محن تعرض لها فقامت مادة هذا الكتاب على الأخبار والنوادر التي تساق في أسلوب قصصي وقد استخدم التنوخي المنهج العلمي التوثيقي، في تدوين مادته وجعل لكل قصة سند وراوي.

إن المحور الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب هو الأخبار والقصص والحكايات التي تصور مواقف مختلفة في حياة أشخاص تاريخيين، أو مجهولين أو مخترعين. وهذا المحور الرئيسي يضم في إطاره محاور جزئية، عنون كل محور بموضوع يسلط الضوء على فكرة تتسدل منها كم من القصص التي ترتبط بمضمونها حول الفكرة.

انتخبت لهذه الدراسة الفصل السادس من كتاب التنوخي الفرج بعد الشدة الموسوم بـ:

من فارق شدة إلى رخاء، بعد بشرى منام، لم يشب صدق تأويله كذب الأحلام

المنام هو:

المادة المعجمية من كلمة نامَ يَنامُ نَوْماً ونياماً "النون و الواو والميم أصل صحيح يدل على جمود وسكون حركة منه النوم"٨ وقد ذكر بن منظور في المنامة فقال أنها "الدُّكَّانُ التي يُنامُ عليها وفي غير هذا هي القطيفة والميم الأولى زائدة ونامَ الثوبُ والفَرْوُ يَنامُ نَوْماً أَخْلَقَ وانْقَطَعَ ونامَت السُّوقُ وحَمُقت كسَدَت ونامَت الريحُ سكَنَت كما قالوا ماتَتْ ونامَ البحرُ هدَأ حكاه الفارسي ونامَت النارُ هَمَدَت كلُّه من النَّوْم الذي هو ضدُّ اليَقظة" ٩

لفظة النوم ذكرت بالقرآن الكريم تسع مرات منها قوله تعالى: ﴿ وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾١٠يقول فخر الدين الرازي في هذه الآية "أصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الإنسان ويتغطى به، فيكون ذلك مغطيا له، فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعله لباسا لهم" ١١ وجاءت بمعنى السكن سبع مرات، وبمعنى البيات ثلاثاً، وبمعنى السبات مرتين ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾١٢.

النوم حالة من الهجوع يسبت بها الجسد ويدخل العقل الى حالة من التأمل التي تأخذ الشخص الى عوالم أخرى تخالف واقعه تسمى هذه الحالة حلم تتكون في ذهن الحالم عندما تتقدم الصور المحسوسة في حالة اليقظة إلى صور خيالية " ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر و الاستدلال. و كذلك تجرد النفس منها صورا أخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس إلى المعقول و الخيال واسطة بينهما. و لذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته إلى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة و يدفعه إلى الحس المشترك فيراه النائم كأنة محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي. و الخيال أيضا واسطة"١٣

صنف رسول الله المنامات فقال ﴿ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان﴾١٤

وعليه المنامات تنقسم إلى:

١- رؤيا

٢- حلم

والحلم ينقسم إلى

أ- وسوسات شيطان

ب- حديث نفس١٥

قيل النوم من النعم التي تستوجب الشكر يقال " شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم، فقال:اذهب فاشكر الله تعالى على العافية، فكم من مريض في شهوة غمضة من النوم الذي تشكو منه "١٦ هذا حال النوم فكيف بالرؤيا التي أشار إليها رسول الله يعقوب عليه السلام، فقال لولده لا تقصص رؤياك قال تعالى:﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ١٧ وأشار الرسول الكريم الى الرؤيا فقال ﴿رؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة﴾ ١٨

تقدم ارسطو رائدا في تعريفه العلمي للحلم وأشار بقوله بأن (الاحلام عنده لون من النشاط النفسي تصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكزن عليها في نومه) ١٩أما سيجموند فرويد قال: (كل حلم وراء شكله الظاهري فكل حلم انما يرمي بمحتواه البطن الى تحقيق رغبة لا شعورية يجعلها هدفا للمصادرة يلجأ الحالم الى عمليات تنكر بعيدة المدى لاخفاء معالم تلك الرغبة الممنوعة أو المكبوحة، ومن هنا يأتي التشويه والالتواء والغموض الذي يسود اشكال الاحلام) ٢٠، أما يونغ فقد تغلغل في النفس الإنسانية ووصف الحلم بأنه(بويب خفي في تجويف النفس اعمقها غورا وأخفاها سرا، مفتوح على ذلك الليل الكوني من النفس قبل أن يكون ثمة أنية واعية بزمن بعيد النفس التي سوف تبقى نفسا مهما امتد الزمان بأنيتنا الواعية)٢١

الدراسة الموضوعية:

بعد التمحيص بالجزء المناط

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بالدراسة وجدت التنوخي قدم المنامات الانسانية بخمس موضوعات أهتمت بتقديم الحلم كأثر ومؤثرإيجابي على الحالم فيمر صاحب الحلم بمراحل الى أن يصل الى تغيير الحال وقد تغير سلوكه وهذه المراحل هي:

١- العقدة: ومن خلالها يوضح السارد المشكلة التي تواجه الشخصية
٢- الحلم: يعتبر الحلم مرحلة التغيير وخلالها يتم عرض من مخزون اللاشعور الذي اكتظ بكم من من المخالافات التي تجاوزها الحالم في مسيرة حياته السابقة سواء كانت هذه التجاوزات كانت دينية، او اخلاقية او مجتمعية ويبدأ الضمير بجلد الذات التي من خلالها تتصاع لقاضيها الداخلي وتقبل كل الشروط التي تفرض عليها للخلاص من المشكلة ثم الاستجابة الى الخلاص.
٣- الاستيقاظ وقد استجاب العقل الى الامر الذي وضعه الضمير الداخلي وانتظار الانفراجه دون التفكير بكيف ومتى ليتحقق الامر وهذا الامراختلف باختلاف الاحلام واصحابها واختلف الوصول باختلاف الاهداف.

هذه هي أهم المحاور التي رصدها التنوخي للمنامات وقد اختزل في كل محور هدف ينبثق من خلاله الفكرة التي يريد الإشارة اليها.

تحمل المنامات قدسية خاصة توجه الحالم بها من ما تدفعه إلى تغيير توجهه وسلوكه الأشارات الدينية التي تقدم بها الدرس الديني المستند على كتاب الله وسنة نبيه يدفع الحالم إلى تغيير توجهه السلوكي وقد اصبحت أمر مسلم به بعد أن كانت موروث من الثقافة القديمة قال تعالى:﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾٢٢ذكر الطبري في تفسير هذه الآية "اختلف أهل التأويل في "البشرى" التي بشر الله بها هؤلاء القوم ما هي ؟ وما صفتها ؟ فقال بعضهم: هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة. "٢٣

من أهم الآثار التي قدمها التنوخي على أثر الحلم على السلوك المتغير سلوك صاحب السلطة منها قصة المهدي الذي اطلق علويا من حبسه لمنام رآه يقول "، لقد أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فأمرني بإطلاقه وفي خبر آخر: لقد أتاني زنجي في فراشي، بعمود حديد، قال لي: أطلق فلاناً العلوي الحسيني وإلا قتلتك، فانتبهت فزعاً، فما جسرت على النوم، حتى جئتني، فأمرت بإطلاقه.٢٤:"

الحلم تقدم على صورتين الأولى بصورة أمرمن رسول الله وهذا الأمر له قدسية لدى الحالم لا يستطيع مناقشته لأنه ينظر له بأنها رؤيا وأمر الاهي والثاني تقدمت على صورة مفزعة وهذه الجزئية تتقدم لتجسد الحالة التي بين ثنايا الحالم من شعوره بالذنب فكانت توظيف الرمزية في الحلم دافعا للأعتراف بما يجول بخلد الحالم من ذنب اتجاه المسجون، فساعد هذا الحلم على تفريغ العقل من الشحنات السلبية لكي ينعتق من تأنيب الضمير٢٥وكان هذا واضحا عندما بدأ القصة بقوله " المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً، وقد انتبه من نومه فزعاً، فقال له: ضع يدك على رأسي، واحلف بما أستحلفك به.

قال: فقلت: يدي تقصر عن رأس أمير المؤمنين، ولكن علي وعلي، وحلفت بأيمان البيعة أني أمتثل ما تأمر به.

فقال: صر إلى المطبق، واطلب فلاناً العلوي الحسيني، فإذا وجدته فأخرجه وخيره بين الإقامة عندنا مطلقاً مكرماً محبوراً، وبين الخروج إلى أهله، فإن اختار الخروج قدت إليه كذا وكذا، وأعطيته كذا وكذا، وإن اختار المقام أعطيته كذا وكذا، وهذه توقيعات بذلك." ٢٦الحالة التي صار اليها الحاكم توضح ذلك الصراع الداخلي الذي يحتضر به لحاكم

أختلف الخطاب بين الحلمين خطاب الحلم الذي ظهر به الرسول توجيهي مباشر لا يحمل أي نوع من الرمزية، بمقابل الحلم التالي يحمل كم من الرموز التي تشير إلى الشخص المظلوم من وجهة نظر المهدي وعلى الرغم من هذا صورة وأسم الشخصية المشار لها كانت واضحة لم تغيب برموز.

ومن الأحلام التي اثرت على قرارات الحاكم وذكرها التنوخي حلم المعتضد قصة الحلم هنا تختلف عن سابقتها يتقدم الحلم ليصوغ لنا الشخصية الحاكمة قبل تقلدها الحكم الأثر تضافر لدى الحالم بين السجن الذي كان فيه وحلم رآه، فكان العهد على أن لا يظلم لكن الظلم مقصور على جماعة بعينها فجعل العفو لها يقول "كأن شيخاً جالساً على دجلة، يمد يده إلى مائها فيصير في يده تجف دجلة، ثم يرده من يده، فتعود دجلة كما كانت.

قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقمت إليه، وسلمت عليه، فقال لي: يا أحمد، إن هذا الأمر صائر إليك، فلا

تتعرض لولدي، وصنهم، ولا تؤذهم.

فقلت: السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين."٢٧ يشير بعد ذلك قائلاً:" فانتبهت وكأني أسمع كلامه لسرعة المنام، فوثقت بأنني أتقلد الخلافة، وقويت نفسي، وزال خوفي، فقلت لغلام لم يكن معي في الحبس غيره، إذا أصبحنا فامض فابتع لي خاتماً، وانقش على فصه أحمد المعتضد بالله، وجئني به.

فمضى، وفعل، وأتاني به، فلبسته، وقلت: إذا وليت الخلافة، جعلت لقبي المعتضد بالله"٢٨ اختلف السلوك لدى المعتضد فيشير قائلا واصفا نفسه:

وثقت بالتولي الخلافة، قويت نفسي وهي تغيير الشعور من الخوف الذي كان يعتريه من الغدر والقتل إلى ثقته بأنه صائر لا محاله الشروع بالعمل ابتاع الخاتم، وبدأ بالشروع التخطيط لحكمه وهو مازال بالسجن، ثم تتدرج القصة بعد الحلم لتوليه الحكم ووفاء العهد بتغيير تفكيره بحماية عهده المشار لها بالحلم.

من أثر الحلم على السلطان ورعيته ما قيل في قصة الخرساني والبدرة التي يودعها لدى أبي حسان الذي يتصرف بمال مؤتمن عليه وبعد أن صرف المال رجع الخرساني يريد ماله وبعد عسرة من الليل أرسل الحاكم يريده فقال له وهو باكيا ": ويحك، ما تركني رسول الله أن أنام بسببك، أتاني في أول الليل فقال: أغث أبا حسان الزيادي، فانتبهت ولم أعرفك، واعتمدت السؤال عنك، وأثبت اسمك ونسبك ونمت، فأتاني، فقال كمقالته، فانتبهت منزعجاً، ثم نمت، فأتاني، وقال: ويحك، أغث أبا حسان، فما تجاسرت على النوم، وأنا ساهر، وقد بثثت في طلبك، ثم أعطاني عشرة آلاف درهم، وقال: هذه للخراساني، ثم أعطاني عشرة آلاف درهم أخرى، وقال: اتسع بهذه، وأصلح أمرك، وعمر دارك، واشتر مركوباً سرياً، وثياباً حسنة، وعبداً يمشي بين يدي دابتك، ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم، وقال: جهز بها بناتك، وزوجهن، فإذا كان يوم الموكب، فصر إلي، حتى أقلدك عملاً جليلاً، وأحسن إليك، فخرجت والمال بين يدي محمول، حتى أتيت مسجدي، فصليت الغداة، والتفت فإذا الخراساني بالباب، فأدخلته إلى البيت، وأخرجت بدرة فدفعتها إليه".٢٩

الحلم هنا الثقافة الدينية المتأصلة هي أساس التغيير الحاصل على السلطان انبثقت من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي ٣٠ الحلم تظافرت به نقطتين توجيه إلى عمل والأرتكازة الثانية هي الرمز الديني الذي لا يشكك بظهوره استنادا على النص من السنة دفع الحاكم للبحث عن الهدف ومد يد العون له تكرار الحلم يكفي لكي يتقدم الرائي لتنفيذ ما رأى كحلم الفرعون الذي تكرار فجمع المفسرين لفك احجية الحلم، لكن الرمز الديني جعله في حالة من الأرق، فدفع الجند للبحث عن الهدف المقصود

من الأحلام المرصودة حلم المعتمد عندما اطلق بريئين من حبسه لمنام رآه

(كان المعتمد مع سماحة أخلاقه، وكثرة جوده وسخائه، شديد العربدة على ندمائه إذا سكر،...فلما كان ذلك اليوم، جلسنا بحضرته نهارنا أجمع، وقطعة من الليل..فلما انتصف الليل، إذا بالخدم يدقون باب حجرتي..فقمت..فأتيته وأنا في نهاية الجزع، أفكر كيف أشاغله عن العربدة، إلى أن صرت بحضرته فلما رآني قائماً لم يستجلسني، وقال لخادمه: علي بصاحب الشرطة الساعة....وقال له: في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال ؟ وفي رواية: يعرف بمنصور الجمال ؟ قال: نعم. ثم حضر الرجل وصاحبه واستنطقهم واشاروا له قصتهم ثم طلبوه أن يفرج عنهم..زفقلت: كيف تكلف أمير المؤمنين النظر في هذا بنفسه، في مثل هذا الوقت ؟ فقل: ويحك إني رأيت في منامي رجلاً يقول لي: في حبسك رجلان مظلومان.. فقلت له: يا هذا من أنت ؟ فقال: أنا محمد رسول الله، فكأني قبلت يده، وقلت: يا رسول الله، ما عرفتك، ولو عرفتك ما تجاسرت على تأخير أمرك.

فقلت: هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمير المؤمنين، واهتمام بما يصلح دينه، ويثبت ملكه، ومنة عظيمة عليه، لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

فقال: امض فقد أزعجناك، فعدت إلى حجرتي.) ٣١.

ومن أهم ما صور الصراع الداخلي الذي يذعن للأنا العليا والتي تكون مهتمة بالمعايير الأبوية والتي وصلت من موروثه الثقافي والتي جعلت المثل العليا والاخلاقيات في افعالها وسلوكها وتصرفاتها وقد اشار الى ذلك فرويد الذي يقوم بثلاثة وجوه من النشاط " مراقبة الذات، واقامة المثل العليا، والضمير الخلقي "٣٢ومن هذه الاحلام التي احتضنها هذاالكتاب فكرة تغيير

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

سلوك وهذا التغيير تجلى على صاحب الحلم رغم الاشارة التي تقول أن الفعل الذي يقوم به الحالم منذ الطفولة أي أنها عادة متأصلة لكن الأنا العليا لديه كانت اقوى والثقافة الدينية أثرت على الحالم من ما دفعته الى اقامة محكمة وتذنيبه، ومن ثم انصياع النفس لهذا القضاء الداخلي وكانت تتجلى بقصة أبو القاسم السعدي الذي يرى مناماً فيتوب عن فعل المنكر يقول(حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي، قال: سمعت أبا القاسم السعدي، يحدث أبي ببغداد، قال: كنت وأنا حدث السن، مشغوفاً بغلام لي شغفاً شديداً...رأيت في منامي كأني في مقابر قريش، والناس مجتمعون فيها، إذ قيل: قد جاء الحسين بن علي، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، للزيارة...فقالت: عليك أن تتوب ؟ فقلت: نعم).٣٣

الموروث الثقافي يشير الى أن الحلم رسائل من المستقبل تتقدم بين يدي الواثق الايجابي وتتخلى عن المتشائم الذي ينظر للحياة بعقله الصغير قصة سليمان بن وهب، والرجل الذي غناه الله تمثل هذا الجانب بوضوح يشير الكاتب أن سليمان بن وهب يتفاءل بمنام رآه وهو محبوس يقول (حدثني: أنه رأى في ليلته تلك، في منامه، كأن قائلاً يقول له:اصبر وربّ البيت لا يقتادها... أحد سواك وحظّك الموفور قال: فصرت إلى أخيه أبي علي الحسن بن وهب، فحدثته بذلك، فسر به.. قال: فما مضت إلا أيام يسيرة، حتى أطلق سليمان بن وهب، ثم انتهى بعد سنين إلى الوزارة).

القصة هنا تشير أن الحالم استأنس بحلم أشار له به المعبر أن حاله سوف يتغير فكان التغيير بعد سنوات بوصوله للوزارة، ولكن قصة من حلم بغناه بمصر كانت توضح فكرة التشاؤم والتفاؤل بصورة اقوى يقول السارد نقلا عن صاحب الحلم (رأيت ليلة في النوم، كأن قائلاً يقول لي: غناك بمصر، فاخرج إليها...فبكرت إلى أبي عمر القاضي، وتوسلت إليه بالجوار، وبخدمة كانت من أبي لأبيه، وسألته أن يزودني كتاباً إلى مصر، لأتصرف بها، ففعل، وخرجت...فلما حصلت بمصر، أوصلت الكتاب، وسألت التصرف، فسد الله علي الوجوه حتى لم أظفر...لقيني الطائف، فقبض علي، ووجدني غريباً، فأنكر حالي، فسألني عن خبري، فقلت: رجل ضعيف، فلم يصدقني، وبطحني، وضربني مقارع.

– فصحت: أنا أصدقك.

– فقال: هات.

– فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها، وحديث المنام.

– فقال لي: أنت رجل ما رأيت أحمق منك، والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة، في النوم، كأن رجلاً يقول لي: ببغداد في الشارع الفلاني، في المحلة الفلانية – فذكر شارعي، ومحلتي، فسكت، وأصغيت إليه – وأتم الشرطي الحديث فقال: دار يقال لها: دار فلان – فذكر داري، واسمي – فيها بستان، وفيه سدرة، وكان في بستان داري سدرة، وتحت السدرة مدفون ثلاثون ألف دينار، فامض، فخذها، فما فكرت في هذا الحديث، ولا التفت إليه، وأنت يا أحمق، فارقت وطنك، وجئت إلى مصر بسبب منام.

– قال: فقوي بذلك قلبي، وأطلقني الطائف، فبت في بعض المساجد، وخرجت مع السحر من مصر، فقدمت بغداد، فقطعت السدرة، وأثرت تحتها، فوجدت قمقماً فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذته، وأمسكت يدي، ودبرت أمري، فأنا أعيش من تلك الدنانير، من فضل ما ابتعت منها من ضيعة وعقار إلى اليوم.٣٤ هذه االقصة تشير الى شخصيتين وصل لهما نفس الحلم أحدهما سعى وبحث دون التفكير بالكيفية، بمقابل الاخر اعمل فكرة العقل والمعقول ولا معقول ولم ينصاع للموروث الذي وصل له الأول تحقق حلمه، والثاني بقى على حاله

بعض الأحلام التي تم رصدها في هذا الكتاب استخدمت اسلوب الايحاء فاتخذت من رؤياالوسيلة التي تؤثر على قرارات الاخر بترديد بعض الرغبات متعلقا بمعتقدات المتلقي التي تستحثه على ردات فعل يستفيد منها المتلقي يشير الكاتب بأن صاحب الحكاية ادعى أنه حلم بالتخلص من حبس سيف الدولة يقول (حدثني أبو الفرج المخزومي، المعروف بالببغاء الشاعر، قال: كان بحلب بزاز يعرف بأبي العباس بن الموصول، اعتقله سيف الدولة، بخراج كان عليه، مدة، وكان الرجل حاذقاً بالتعبير للرؤيا.فلما كان في بعض الأيام، كنت بحضرة سيف الدولة، وقد وصلت إليه رقعة البزاز، يسأله فيها حضور مجلسه، فأمر بإحضاره.وقال: لأي شيء سألت الحضور ؟ فقال: لعلمي أنه لا بد أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال، في هذا اليوم.قال: ومن أين علمت ذلك ؟ قال: إني رأيت البارحة في منامي، في آخر

الليل، رجلاً قد سلم إلي مشطاً، وقال لي: سرح لحيتك، ففعلت ذلك، فتأولت التسريح، سراحاً من شدة واعتقال، ولكون المنام في آخر الليل، حكمت أن تأويله يصح سريعاً، ووثقت بذلك، فجعلت الطريق إليه مسألة الحضور، لأستعطف الأمير. فقال له: أحسنت التأويل، والأمر على ما ذكرت، وقد أطلقتك، وسوغتك خراجك في هذه السنة. فخرج الرجل يشكره ويدعو له٣٥ القصة تشير الى مدى تأثيرالموروث العقائدي على سلوك الافراد فكانت الاشارة فقط كفيلة لتحقيق الهدف المراد، لكن فكرة الانصياع للحلم لم تتجلى بكل الاحلام لأن حلم معمر بن المثنى كانت تشير لتأويل الحلم الى مسارب اخرى للنجاة يقول (المدائني في كتابه أيضاً، عن معمر بن المثنى، عن علي بن القاسم، قال: حدثني رجل قال: رأيت في المنام، أيام الطاعون، أنهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازة، وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً، فمات عيالي، وبقيت وحدي، فاغتممت، وضاق صدري.

فخرجت من الدار ثم رجعت في الغد، فإذا لص قد دخل ليسرق، فطعن في الدار، فمات، وأخرجت منها جنازته.

وسري عني ما كنت فيه، ووهب الله العافية والسلامة٣٦ النجاة في القصة بالتأويل واستخدام الاحداث المواكبه لتفسير الرسالة بطريقة لا يتأذى بها الحالم بل يظفر بالحياة

الخاتمة:

المنامات موروث ثقافي، دعم بالنص الديني وهي الحالة التي أجتمع بها الموروث والمسلمات لكي تساعد على دعم الفكر في حالة الأستقرار النفسي بعد تسليط الضوء على فصل المنامات في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات فيما يأتي ابرزها:

١- عاش التنوخي (ت ٣٤هـ) في عصر برز فيه كتاب كبار تميز بينهم التنوخي ونافس كبار الأدباء والعلماء

٢- أهتم كتاب الفرج بعد الشدة باللاوعي لدى الفرد وارسال كم من الإيحاءات التي لها أثر ايحائي لردات أفعال الافراد وتعديل سلوكهم.

٣- ابدع التنوخي بأختيار المنامات في كتابه فهي تمثل فكرة الانفراج بعد الضيق وهي حالة يصل لها الفرد بعد صراع داخلي بين الأنا العليا والذات.

٤- تقدمت المنامات عند التنوخي بقصص تبدأ بعرض المشكلة التي تنتهي بأنفراجة مفتاحها حلم يضع شروطه وتوقيت زمن فك العقدة

٥- الحوار داخل الحلم يهتم بجلد الذات وتصفية الحسابات داخل النفس التي تتقدم الأنا العليا بمقاضات النفس على تاريخ من الذنوب التي يحملها صاحب الحلم فيرضخ ويستجيب.

٦- تناول التنوخي في مناماته بعض الصور التي تسلط الضوء على اثر سلوك الفرد، من خلال ميثاق الموروث الديني.

٧-. الاحلام المرصودة بالكتاب سلت الضوء على مدى تأثر الافراد بالموروث ومدى تأثيرها على الافعال وسلوكيات الافراد وتأثيرها على امسيراتهم الحياتيه

الهوامش

١ ملحمة كلكامش وقصص اخرى عن كلكامش والطوفان، طه باقر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠، ص٨٦.

٢ ابن سعد. الطبقات الكبرى / باب النساء/ فصل أزواج الرسول

٣ سورة يوسف ٤٣

٤ سورة يوسف٤

٥ محمد لطفي اليوسفي / مجلة الاتحاد / الملحق الثقافي / عجائب الأنس / ١٥ مايو ٢٠٠٨

٦انظر /وفيات الأعيان مجلد ٤ ص١٦٢، النجوم الزاهرة ج٤ ص١٦٨، تاريخ بغداد ج١٣ ص١٥٦، معجم الأدباء ج١٧ ص ٢٩

٧ابو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام التدمري،بيروت،ط١٤١٧،١هـ، ج٧، ص٤٦٦

٨ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٥، ص٣٧٢

٩ بن منظور / لسان العرب / ن و م

١٠ الفرقان / ٤٧

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

١١ فخر الدين الرازي / التفسير الكبير / دار الكتب العالمية/بيروت / ٢٠٠٤ /ج١٦ / ص٨

١٢ النبأ /٩

١٣ عبد الرحمن بن خلدون،مقدمة بن خلدون، دارالكتاب العربي، ط١٩٩٨،٢م، ص٤٤٠

١٤ صحيح مسلم، ج١٥، ص ١٦

١٥ دعد الناصر، المنامات في الموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٨، ص٤٢

١٦ أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، شركة القدس للتجارة،ط١٤٢٩،١هـ٢٠٠٨م،ج٢،ص٣٨٩

١٧ يوسف ٥

١٨ شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي،دار الخير، ١٤١٦هـ١٩٩٦م،ط١، ج ٦،ص ٤٢٤ وقال" وفي رواية: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) وفي رواية: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) وفي رواية: (رؤيا الرجل الصالح جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة) وفي رواية: (الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة) فحصل ثلاث روايات، المشهور ستة وأربعون، والثانية خمسة وأربعون، والثالثة سبعون جزءا. وفي غير مسلم من رواية ابن عباس (من أربعين جزءا) وفي رواية: (من تسعة وأربعين) وفي رواية العباس (من خمسين) ومن رواية ابن عمر (من ستة وعشرين) ومن رواية عبادة (من أربعة وأربعين)

١٩ سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، ت نظمي لوقا، دار الهلال، أغسطس ١٩٦٢، ص٢٢

٢٠ سيجموند فرويد، تفسير الاحلام، ص ٧٦

٢١ ك.غ.يونغ، علم النفس التحليلي، ت نهاد خياطة، دار الحوار، سوريا، ١٩٩٧، ط٢، ص٨

٢٢ يونس،٦٤

٢٣ تفسير الطبري،محمد بن جرير الطبري،تحقيق وأخراج محمود محمد شاكر،ج٢٤

٢٤ الفرج بعد الشدة،التنوخي،ج٢،ص٢٣٩

٢٥ تفسير الأحلام، سيجموند فرويد، تلخيص نظمي لوقا،دار الهلال، ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م،ع ١٣٧،ص١٤

٢٦ الفرج بعد الشدة،التنوخي،ج٢،ص٢٣٩

٢٧ الفرج بعد الشدة،٢٠٩

٢٨ الفرج بعد الشدة،٢٠٩

٢٩ الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٣٣

٣٠ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، دار الريان للتراث،١٤٠٧هـ١٩٨٦،ج الثالث عشر، ص ٤٠٠

٣١ الفرج بعد الشدة، ٢٤١

٣٢ فرج عبد القادر طه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة، بيروت، ط١، ص٦٣

٣٣ الفرج بع٧د الشدة، التنوخي، ج٢، ص ٢٨٩

٣٤ الفرج بعد الشدة، التنوخي، ج٢،ص ٢٦٨

٣٥ الفرج بعد الشدة، التنوخي، ج٢،ص٢٢١

٣٦ الفرج بعد الشدة،٢٣٠